الموروث التاريخي في شعر مدرسة الديوان

الباحث/ علي عبد الحميد علي محمد

الموروث التاريخي في شعر مدرسة الديوان:

تنبه النقاد إلى أهمية الموروث التاريخي؛ حيث ذكر ابن خلدون فضل التاريخ بقوله:" إن فن التاريخ فن غزير المذهب جم الفؤاد، شريف الغاية؛ إذ هو يُوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولتهم وسياستهم"([1]).

وتعد الثقافة التاريخية من أغنى المصادر في المعاني، وقد أورد ابن رشيق في حديثه عن الشاعر" وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر، ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعد ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال، وليعلق بنفسه بعض أنفاسهم، ويقوي طبعهم بقوة طباعهم"([2]).

كذلك يعد التراث التاريخي رافدًا مهمًا وعاملًا رئيسًا من مكونات تراثنا العربي حيث" يعبر التراث عن الأمة وهويتها، بل هو خير معبر عنها؛ لأنه جزء منها، فكل تراث هو جزء من الأمة التي أنجزته، فلا يمكن أن تؤسس أي أمة نهضتها على تراث آخر غير تراثها؛ لأن التراث يختزن إمكانات النهوض والإبداع في حياة الأمة، وهو زادها التاريخي، فالنهضة يحتضنها تراث الأمة ويغنيها، فالتراث ليس أمرًا ساكنًا ميتًا أفرزته هزائم الأمة وانكساراتها التاريخية، وإنما تلك الحيوية، والفاعلية المتدفقة في وجدان الأمة"([3]). وقد قسم الباحث هذا المبحث على النحو التالي:

- **الأماكن التاريخية.**
- **الشخصيات التاريخية.**

---

[1]- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج١٩٩٢،١م، ص١٣.

[2]- ابن رشيق: العمدة، ص ١٧٧.

[3] - عبد الجبار الرفاعي: جدل التراث والعصر، دار الفكر،٢٠٠١م، ص ١٨ ـــــــــ ١٩.

- **الأحداث التاريخية**

[١]: الأماكن التاريخية:

رصد الباحث تناول شعراء مدرسة الديوان للموروث التاريخي من خلال تناولهم لبعض الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية في قصائدهم، و" الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، والقابلة للتجدد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى؛ فدلالة البطولة في قائد معين، أو دلالة النصر في كسب معركة معينة تظل بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلك القائد أو تلك المعركة باقية، وصالحة لأن تكرر من خلال مواقف جديدة وأحداث جديدة"([١]).

ومن هنا عبر العقاد عن الموروث التاريخي في قصيدة: (أنس الوجود) من ديوانه: (يقظة الصباح) عندما تناول مدينته أسوان حيث يقول:

[الطويل]

تماثيل مصر أنتِ صورتها الصغرى وطلسمها الواقي وآيتها الكبرى
رعى الله من أسوان دارًا سحيقة وخلّد في أرجائها ذلك القصرا
بأسوان مرصودًا وهل يعبد الضحى بأظهر منها للضحى كيفما ذرا ([٢])

عكس عنوان القصيدة حب العقاد لبلده أسوان حيث يشعر فيها بالأنس والدعة والطبيعة الجميلة الساحرة التي يقصدها السياح من كل الأمصار، وقد أوضح العقاد ذلك بقوله عن أسوان: " ولدت فيها بمشيئة القدر، ولو أنني ملكت الأمر لولدت فيها بمشيئتي لأنها الموطن الذي يستفاد منه خير ما آثرته لنفسي من النظر للحياة، فليس ممن أحبه أن يحصرني الحاضر في نطاقه، ولا أن يحوجني الخير الأرضي في حدوده"([٣])

وقد جمع الشاعر كلمة (تماثيل)؛ دلالة على الكثرة مع تنكيرها لعموم وشمول كل التماثيل الموجودة في مصر كناية على كثرة آثارها وعلو

---

[١] – على عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، ص١٢٠.

[٢] – انظر: ديوان العقاد، ص٢٤ ــــــــــ ٢٥.

[٣] – العقاد : أنا، وكالة الصحافة العالمية" ناشرون"، ط١، ٢٠١٧م، ص٣٨ ــــــــــ ٣٩.

مقامها، وقد استخدم الشاعر المفارقة بين (الصغرى الكبرى)؛ ليدلل على قيمة أسوان الثقافية والعلمية، فهي بمثابة الطلسم الواقي لكل أهلها ولا يستطيع أن يفك رموزه إلا من عاش فيها وحافظ عليها. ويدعو الشاعر الله أن يتعهد أسوان بالرعاية والحفظ والبقاء، ووظف الفعل الماضي ليوضح هذا المعني (رعى، خَلَّد)، وليعبر عن المضي في الرعاية والبقاء.

واستخدم الشاعر ظاهرة أسلوبية وهي التكرار لمفردة (أسوان) ليؤكد على حبه وعشقه لها، كذلك كرر لفظ الجلالة؛ دلالة على كثرة الدعاء إلى الله حتى تبقى أبد الدهر، ثم وظف الشاعر الفعل الماضي مع لفظ الجلالة (أدار، أجلى)؛ ليوضح فضل الله على أسوان حيث أنعم عليها بالمساحة الواسعة الخضراء التي يتوسطها نهر النيل ليزيدها جمالًا على جمال. وذكر الشاعر بعض الآثار الموجودة في أسوان؛ ليبرهن على مكانتها وقيمتها وعبقها مثل (عمود السواري) الذي يقف شامخًا وشاهدًا على عبق التاريخ.

ومن هنا كان استلهام الموروث التاريخي عند العقاد بنظرته المعاصرة يؤكد على أصالته وعمق فهمه؛ لأن التراث يعد" أحد مصادر الإلهام الرئيسة التي لا يفلت منها أديب. فالأديب في ظل أي مرحلة وتحت راية أي مدرسة، ليس إلا حلقة متواضعة في سلسة تاريخية فارعة الطول، ومهما كان شوقه إلى التجاوز والمغامرة الفنية، فإنه لا يفلت من تأثيرات كثيرة ترسبت في مخيلته أثناء مرحلة الأعداد الفني، فإن أطول الفنانين باعًا في التجديد، وأكثرهم مخاطرة في التجريب لا نتصور مطلقًا أنه قد قطع كل رابطة بينه وبين التراث السابق عليه"([1]). فمهما كثرت تطلعاته إلى التجديد لابد من العودة إلى التراث، والنهل من منابعه.

أما شكري فقد تناول المكان التاريخي في قصيدة يصف فيها الأندلس العربية. يقول:

[الرمل]

جنةٌ لم يظفر الدهرُ لها بمثيل، جنة الأندلس
أو كنجم يهتدي الساري به في ضلال المسلك الملتبس
أو كنادٍ يأنسُ الضيفُ به موحشًا في البيدِ وسط الحندِسِ

[1] – د. طه وادى: جماليات القصيدة المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص٦٢.

أهلُها الغرُّ الأُلى قد ملكوا بالنهى منهم عنانَ الشُمُسِ
عمروا الأرض وأجروا ماءها وزها كالسحر نبت اليبس ([1]).

يبدأ الشاعر بوصف الأندلس بقوله: (جنة) حيث جاءت الكلمة نكرة لتدل على عموم وشمول جميع أجزاء الأندلس، ثم وظف الفعل المضارع المجزوم (لم يظفر) دلالة على عدم وجود شبيه أو مثيل لها، وجاء بحرف الباء الذي يدخل على المتروك كناية عن جمال الأندلس وعدم تشبيهها بأي مكان آخر. وقد تناول الشاعر ظاهرة أسلوبية من خلال تكراره لكلمة (جنة) لتشكل هذه الكلمة محورًا للارتكاز في القصيدة، وكذلك منبع ثقلها الفني فضلًا عن تحقيق التوازن الفني والإبداعي للنص ومن ثم يسترعي انتباه القارئ.

وكذلك التعبير بالمضاف والمضاف إليه (جنة الأندلس) حيث نسب الجنة إلى الأندلس؛ لتخصيصها عن غيرها من البلدان، وشبه الشاعر الأندلس بكلمة (نجم) دليل على علو مكانها، وسمو شأنها، وارتفاع قدرها، وألحق بها الفعل المضارع (يهتدي) لديمومة نفعها وإرشادها. وأشار الشاعر إلى المفارقة بين (يهتدي ظلال)؛ ربما لتنبيه القارئ وخلق الانفعال في القصيدة عبر التضاد مع الأشياء.

وشبه الشاعر الأندلس بـ(منادٍ) في أصوات جوامعها أو من خلال دروس جامعاتها؛ فينتشر الضياء والنور لكل الأمم، كما وظف الفعل المضارع (يأنس) دلالة على دوام هذا الأنس وبقاءه فينشر حوله الطمأنينة والراحة ثم جاءت المفارقة بين (يأنس موحش) ليوضح أثر الأندلس فيمن حولها من البلاد؛ حيث تحولوا من الظلام إلى النور، وعبر الشاعر ب (البيداء، الحندس) كناية عن كثرة الجهل وانتشاره في كل مكان. وجاء أهلها وامتلكوا بعقولهم كل شيء، وعمروا الأرض بكل وسائل التعمير، وشقوا الترع فجري الماء ونبت الزرع ومن ثم زاد الخير.

ومن هنا قدم الشاعر عبد الرحمن شكري الأندلس التي تمثل رافدًا تراثيًا تاريخيًا يستشعر فيه القارئ عبق الماضي القريب حيث الفتوحات والانتصارات، ونشر العلم بين جميع البلاد في ضوء من المعاصرة.

[1] – انظر ديوان شكري، ص ٤٧٥.

وقد استلهم المازني المكان التاريخي في قصيدة: (الإسكندرية) ولعل عنوان القصيدة يحمل بين طياته بعض الدلالات ربما قصدها الشاعر في قصيدته، فالمازني لا يستطيع نسيان الماضي فيعيش به حيث الأحداث الجليلة، والذكريات الجميلة التي يُصعب نسيانها وربما غفل عنها قليلًا، ولكنه يرجع إلى ذكرياته فيستمد منها حنينًا وشوقًا إلى الماضي ليصبح حيًا بداخله. يقول المازني:

[الخفيف]

ليَ نفس موصولة بك ما عش تُ وكالنجم أنت منِّيَ بعدا
هل تعيد الأيام فيك ليال يَّ وعيشًا قضيته كان رغدا
بين نور الربيع والنرجس الغ ضِّ* وبحرٍ يروع جزرًا ومدا
ومدامٍ* لم نقذها بمزاج ونديم يسبيك لعبا وجدا
ما حننا إلا إليها ولا ها ج سواها لنا ادِّكارًا ووجدا([1]).

تناول المازني في أبياته مكانًا تاريخيًا تراثيًا هي عروس البحر المتوسط مدينة الإسكندرية التي مازالت نفسه معلقة بها ما دام على قيد الحياة معبرًا عن ذلك بالفعل الماضي مسبوقًا بالنفي (ما عشت)؛ ليدلل على اتصال واستمرار هذا الحب في المستقبل، ثم يشبه الشاعر الإسكندرية بالنجم دليل على عشقه لها وعلو منزلتها عنده، فيشاهدها بعيدة عنه كنجم السماء.

وعبر الشاعر بالاستفهام الذي خرج إلى التمني عن عودة الليالي الجميلة التي قضاها هناك في رغد وترف، ووظف الفعل المضارع (تعيد)؛ لدوام تمنيه العيش بالإسكندرية حيث جمال الربيع وزهوره، وحسن النرجس بجوار البحر بأمواجه المتلاطمة من كثرة مده وجزره، وجاءت المفارقة بين (مد جزر)؛ لتوضح المعني بين حنين الشاعر، وتمني عودته إلى الإسكندرية (المد)، وقسوة الحياة وصعوبتها وشعوره بالبعد والغربة (الجزر).

---

[1] – ديوان المازني، ص١٠٦.

* الغضّ: الطري الحديث من كل شيء.

* المدام: الخمر

ويتذكر الشاعر أيامه هناك حيث الأصدقاء وسمرهم وشرابهم، ووظف الشاعر المفارقة بين (لعب ــ جد)؛ لتعبر عن مدى ارتباطه بأصحابه في وقت اللعب والجد ثم عبر الشاعر عن حنينه إلى الإسكندرية دون غيرها من البلاد، لوجود الذكريات الجميلة بها، وكذلك عاش الشاعر فيها عيشة كلها رغد وسعة.

[٢]: الشخصيات التاريخية في الشعر الديواني:

وذكر العقاد بعض الشخصيات التاريخية التي تأثر بها، وتناولها في قصائده، لأن العودة إلى التراث" تسهم في إنتاج النص الجديد إنتاجًا ثريًا حافلًا بالثقافة والتواصل، مما يحيل التراث عنصرًا فاعلًا دائم التأثير والتأثر، وصالحًا للخروج من القمقم في كل حين"([1]). وتناول العقاد في قصيدة: (تحية سعد في أسوان) من ديوان أشجان الليل شخصية مصرية تحظى بحب واحترام كل المصرين هو الزعيم سعد باشا زغلول، وقد نظمت هذه القصيدة في عام١٩٣٢م عند زيارته لمدينة الشمس والتاريخ.

أو قل جمع العقاد في عنوان قصيدته بين الحبيبين، فأسوان أحب الأماكن إليه؛ لأنها عالمه الخاص الذي يشعر فيه بكل معاني الحب والسعادة، وأما عن سعد زغلول فهو القدوة والحس الوطني للمصريين؛ لأنه" في خلائقه العلمية وفكاهته الحاضرة واعتداده بالأسرة وكراهته للغفلة وإيمانه بالغيب مصري فلاح من طينة المصريين الفلاحين، وطبيعته هي طبيعة الفلاح في صورة واسعة وأطار كبير، وطبيعة الفلاح هي طبيعة سعد في صورة ضيقة وإطار صغير أو منحرف بعض الانحراف، ولكنهما على نموذج واحد في الوضع والصناعة"([2]). يقول العقاد:

[الكامل]

يا سعد حبك في النفوس عميم وخصوم مجدك هم لمصر خصوم
بالرغم من إنهم ملكوا القوى فسطوا! وإنك أنت أنت زعيم

[1] – د. سامح الرواشدة: مغاني النص" دراسات تطبيقية في الشعر الحديث، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م

[2] – العقاد: سعد زغلول، سيرة وتحية، مطبعة حجازى ، القاهرة، ١٩٣٦م، ص٣٧.

هذي البلاد كما رأيت فهل لها بسوى تحية سعدها ترنيم([1]).

تناول العقاد سيرة الزعيم سعد باشا زغلول؛ لأنه" شخصية سعد زغلول هي إحدى الشخصيات التي أسالت مداد كثير من الكتاب المصريين وسواهم، وللعقاد فيه كتاب من أنفس الكتب بشهادة حتى من انتقد طريقته في كتابة التراجم"([2]). وبدأ الشاعر بالنداء على زعيم الأمة باسمه مجردًا من أي ألقاب؛ وذلك لقربه من قلوب المصريين بقوله: (يا سعد) ثم لحق به كلمة(حبك) بعد اسمه دون فاصل، دلالة على أن حب سعد قد سيطر على نفوسهم، ووظف صيغة المبالغة (عميم)؛ ليؤكد على هذا المعنى. وعبر الشاعر عن (خصوم) سعد بالتنكير وذلك للتقليل والتحقير من شأنهم، كما جاءت الكلمة جمعًا لتوضح أن الخصوم كثيرون.

وقد كرر الشاعر كلمة(خصوم)؛ ليسترعي انتباه القارئ حتى يعلم أنه خصم لكل من عادى سعد، وقد أختزل الشاعر الشعب المصري في شخص سعد كناية عن حبهم له وتعلقهم به. وهؤلاء الخصوم قد ملكوا في أيديهم معظم القوة. ورغم ذلك يؤكد الشاعر لسعد بحرف التوكيد (إن) أنه هو الزعيم، ووظف لذلك المعني تكرار الضمير (أنت) بوصفه تكرارًا يحدث حالة شعورية لدى المتلقي لاسيما في سياق الفخر بزعيم الأمة سعد زغلول فضلًا عن بيان جانب التحدي والتوتر الذي تملك الشاعر، وكذلك يوضح أن هذه البلاد لا يستحق تحيتها إلا سعدًا.

أما عن دلالة كلمة سعد وإضافتها إلى تحية في قول الشاعر: (تحية سعدها) يعطي دلالة على تقدير وحب الشعب للزعيم، كذلك إن وجود سعد باشا زعيم لهم؛ يُسعد البلاد، ويحقق لشعبها الحرية.

وقد استحضر الشاعر قصيدة أخرى بعنوان: (يوم الميعاد) ويعبر عنوان القصيدة عن هذا اليوم حيث يتذكر به الماضي المشرق، ويبعث فيهم الهمم والإصرار على مقارعة الظلم، لذا اجتمعت الأمة على قلب رجل واحد؛ للدفاع عن زغلول. أو قل إن هذا اليوم هو ميعاد للوفاء والحب مع زغلول

---

[1] – انظر: ديوان العقاد: ص٣٤٧.

[2] – إحسان عباس: فن السيرة، دار الشروق، عَمان، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٦.

حيث تجتمع الأمة كلها؛ لتضحى بكل ثمين ونفيس من أجله. ورصد الباحث حب الشاعر للزعيم سعد زغلول من خلال قصائده لاسيما وإنها تمثل" تشكيلًا موازيًا للواقع بمعناه الاجتماعي والمادي والنفسي والتاريخي."([1]).

يقول العقاد: [البسيط]

يا يوم سعد وفي أيامه نُدَح للذاكرين ورحب آيةً ذهبوا
هذا طليعة أيام لها نبأ يروى عواقبه التاريخ والعقب
مصر التي غضبت، مصر التي رضيت مصر التي ترتقي، مصر التي تثب
مصر التي في هواها الشمل مجتمع مصر التي في علاها السعي منشعب*
فاعرض لنا مصر في يوم الندى على ما تشتهي الهمم الشماء والأهب([2]).

والمتأمل في الأبيات يلاحظ من الوهلة الأولى أن الشاعر ينادي مفتخرًا وسعيدًا بهذا اليوم بقوله: (يا يوم) وربما قصد الشاعر بالمنَادَى يوم الميعاد عندما أُطلق سعد من المنفى حيث الفرح والسرور والسعادة. أو قل قصد الشاعر أن يومًا كهذا يتطلب وجود زعيم الأمة (سعد)؛ ليلتف حوله الجماهير الغفيرة مطالبين بمطالبهم المشروعة. كما وظف العقاد كلمة (يوم، أيام)؛ دلالة على كثرة الأيام السعيدة في عهد سعد، وجاء الترادف بين (ندح، رحب)؛ ليبرز هذا المعنى ويوضحه، ثم أشار الشاعر إلى سعد زعيم الأمة ب(هذا) ربما لأنه يعرف قيمته وشأنه في الأيام المقبلة مستدلًا على ذلك بتوظيفه للفعل المضارع (يروي) ليثبت أن التاريخ سيُسجل البطولات التي قام بها سعد من أجل الوطن.

وقد كرر العقاد في أبياته (مصر التي)؛ لجذب انتباه السامع للشيء المكرر، كما يؤكد على قدرة مصر، وتناول الشاعر المفارقة بين (غضبت ــ رضيت)؛ ليؤكد على قدرة مصر على اتخاذ قرارها إضافة إلى إبراز قيمة الاتحاد وجمع الشمل حول سعد زغلول. وكذلك وظف العقاد الفعل المضارع

[1]– محمد فتوح أحمد: وجه المرأة وقضية الشعر عند العقاد، مجلة فصول، عدد٩، أكتوبر، نوفمبر، ١٩٨٥م، ص٩٢.
[2]– انظر: ديوان العقاد: ص ٢٧٨،٢٧٩.
* منشعب: منتشر.

(ترتقي، تثب) كناية على العطاء والتضحية من أجل الوطن، وكذلك لديمومة واستمرار الرقي والتقدم.

وكذلك أوضح العقاد أن جميع المصريين قد اتحدوا بسبب حبهم لمصر إضافة إلى رغبتهم في تقدمها لا سيما عندما تحتاج إليهم مصر فتظهر الهمم العالية وعلى أتم الاستعداد بالتضحية بكل نفيس وغالٍ من أجلها. بيد أن" نجاح الشاعر يقاس بمدي توفيقه في شحن الصورة بطاقة لا تنفد من الإيحاءات من ناحية، وبتوظيفها لخدمة السياق العام ثانية بحيث لا يبدو العنصر التراثي مقحمًا على القصيدة ومفروضًا عليها من الخارج"([1]).

ومن هنا جاء شعر العقاد يحمل بين مفرداته ومعانيه موروثًا تاريخيًا؛ ليعود بنا إلى الماضي ربما ليفجر به الشاعر بعض الطاقات المخزونة لتفيد الحاضر في حل مشاكله المعاصرة؛ حيث إن الهدف من استلهام التراث يكمن في التفاعل معه، ومشاركته هموم الشاعر وقضايا عصره، ومن هنا تتحقق فائدة الجمع بين التراث والمعاصرة في العمل الأدبي.

وقد ذكر عبد الرحمن شكري الموروث التاريخي في قصائده؛ حيث جسد الكثير من الوقائع التاريخية، وتناول العديد من الشخصيات التاريخية وقصص البطولة لهم، ومن ثم أصبح الشعر مرآته التي عكست الموروث التاريخي للأمم والشعوب. وسجل التاريخ أمجاد العرب وبطولاتهم وتقدمهم وكذلك حفظ لنا تراث الأجداد من الضياع.

ولذلك فقد وظف الشاعر بعض الشخصيات التاريخية، لأن دور كل شخصية في النصوص الشعرية يعبر عن قضايا وهموم الوطن حيث إن" الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي تريد أن ينقلها المتلقي، ومن ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية والحضارية التي عاشتها أمتنا في الحقبة الأخيرة، وإحباط الكثير من أحلامها، وخيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل فيه الخير"([2]).

[1]- علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية، ص ٢٢٠.

[2]- علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية ، ص ١٢٠.

ومن هنا استدعى عبد الرحمن شكري في قصيدة: (نابليون والساحر المصري) من ديوان: (لآلي الأفكار) شخصية تاريخية مهمة هو نابليون بونابرت الذي أثر في التاريخ المصري؛ لأن" نابليون منذ حداثة سنه كان شغوفًا بالكشف عن أسرار عالم الشرق، وخاصة أرض مصر مهد الحضارة العريقة؛ لذلك فإن الحملة التي قادها نابليون ضمت عددًا من العلماء، والفنانين والباحثين كالآثريين، والكيميائيين، والمهندسين، والرياضيين بغرض دراسة واستكشاف مصر أرض الفراعنة ذات الحضارة العريقة، ودراسة فنون وعادات وديانات أهل الشرق، ذلك بالإضافة لوجود مجموعة من أبرز القادة العسكريين مثل كليبر، وديزيه ومارمون وغيرهم"([1]).

يقول عبد الرحمن شكري [الكامل]

سدكت* بنابليون سالبة الكرى والنومُ لا يعنو لكلِّ عظيم
في ليلةٍ قلبُ اللئيمِ كقلبها زنجيةٍ قد عُرِّيَتْ من حليها
يا أيها البطل العظيم الغالب أرح الخطى واسمع نبوءة ساحر
ولكن سيعقبك الزمان وصرفه زمنا يكون به الطليق أسيرًا([2]).

وقد عني (نابليون) باصطحاب جماعة من العلماء والكتاب الفرنسيين" فأنشأوا في مصر أول مطبعة، وأصدروا أول صحيفة وأسسوا المراصد الفلكية والمصانع الكيماوية وافتتحوا مكتبة عامة كما أقاموا مسرحًا للتمثيل وبعض المدارس. ولكن أبرز آثارهم تمثل في إنشاء المجمع المصري في أغسطس ١٧٩٨م على غرار المجمع الفرنسي. وقد كان من أغراضه نشر المدينة وبعث العلوم والمعارف بمصر، ودراسة المسائل والبحوث التاريخية والطبيعية والصناعية"([3]).

ومن الجدير بالذكر أن الحملة الفرنسية لم تصنع هذا التطور إلا لخدمة الفرنسيين أنفسهم، فكانت المدارس تعلم أولادهم باللغة الفرنسية، والجرائد والصحف تصدر باللغة الفرنسية، ومن ثم لم تحدث فائدة لأبناء

[1] – د. ايمن أبو الروس: شخصيات لا ينساها التاريخ، مكتبة ابن سينا، القاهرة،ط١، ٢٠١٣م، ص ٣٨.

[2] – انظر: ديوان شكري، ص٢٣٦ــــ ٢٣٧.

* سدك بالشيء: لزمه.

[3] – د. محمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف ، القاهرة ،، ١٩٧٧م، ص ١٦٦ــــ ١٦٧.

المصرين من قريب أو بعيد. ولذلك فقد أوضح الشاعر في قصيدته التي دارت أحداثها بين نابليون والساحر المصري الجانب الحقيقي لنابليون في ظلمه وقبح أفعاله، وجشعه، ووظف شكري الفعل الماضي (سدك)؛ دلالة على ملازمة النعاس له، وجاء الشاعر بالترادف بين (الكرى، النوم)؛ ليؤكد على نومه العميق في هذه الليلة ثم عبر بكلمة (ليلة) نكرة للتهويل فهي ليلة ليلاء؛ حيث شبهها الشاعر (بقلب اللئيم)؛ كناية عن قبحها وطولها وكدرها ومثلها كمثل امرأة زنجية شديدة السواد قبيحة المنظر لا تتجمل ولا تتزين بأي شيء فعظم قبحها وساء مطلعها.

بيد أن الشاعر ينادي على نابليون ويصفه بالبطل العظيم الغالب؛ ربما قصد الشاعر السخرية والاستهزاء به؛ لأن النصر القائم على الدماء والظلم إنما هو نصر زائف، ويطلب منه الشاعر أن يستمع إلى هذه البشرى بأنه سيكون ذليلًا وأسيرًا؛ لأنه قتل كثيرًا من الأبرياء، وعبر عن ذلك الشاعر بالاستفهام بـ (كم)؛ دلالة على الكثرة، وأكد ذلك المعنى باستخدامه (قد) حتى أصبحت نفسه تشتهي القتل وتطمع فيه كل يوم، ولكنه استدرك ذلك بقوله(لكن)، ووظف التسويف مع الفعل المضارع (سيعقبك)؛ ليؤكد له تحقق نبوءته في المستقبل القريب وسيكون أسيرًا وذليلًا (زمنًا) طويلًا حيث جاءت نكرة لتدل على كثرة الأيام التي يهان فيها.

أو قل إن هذا الساحر الذي يخبر نابليون بما سيحدث له إنما هو شعب مصر العظيم الذي تأكد وتحقق من النصر على الفرنسيين وإن طالت المدة، فلا مناص عن النصر.

وقد امتاح إبراهيم عبد القادر المازني الموروث التاريخي من بعض الشخصيات التاريخية المهمة في قصائده؛ حيث إن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يعبر به عن قضاياه وهمومه التي تكدر الحياة، ومن هذه الشخصيات الحسين بن علي حيث إن منزلته عظيمة عند المسلمين، و" لم يكن خافيًا على أحد المسلمين ما كان للحسين رضى الله عنه من منزلة عظيمة مستمدة من منزلة الرسول الأكرمﷺ لاسيما أن الحوادث دلت على

شدة تعلق النبي ﷺ بابن بنته، وتأكيده المستمر على أن الحسين رضى الله عنه امتداد طبيعي لشخصه الكريم"([1]).

ومن هنا تكاد تكون شخصية الحسين رضى الله عنه "من أكثر شخصيات الموروث التاريخي ذيوعًا في شعرنا المعاصر، فقد رأى شعراؤنا في الحسين رضى الله عنه المثل الفذ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفًا أن معركته مع قوى الباطل خاسرة ولكن ذلك لا يمنعه من أن يبذل دمه الطهور في سبيلها"([2]). وقد استدعى المازني في قصيدته: (الشوكة الجديدة) من الجزء الثاني من ديوانه شخصية الحسين رضى الله عنه ربما ليبين الظلم الواقع عليه، فقد تحول الحسن القديم إلى قبح جديد يؤرق الشاعر ويكدر صفو حياته. يقول المازني:

[مجزوء الكامل]

يا وردة الحسن القدي م وشوكة القبح الجديد
كنا وكنتِ فما عدل ت ولا ظلمتك بالصدود
ظلمًا كما قَتل الحسي نَ على ظمًى جندُ اليزيد([3]).

ومن الثابت أن" أحب آل البيت إلى النفوس وأعزهم عليها هو الحسين عليه السلام ولاتزال العيون تُغرورق بالدمع، والقلوب تخفق، والصدور تعلو وتهبط لحكاية هذا المصرع"([4]) لاسيما وإن الخصومة بين الحسين ويزيد كانت منذ القدم، حيث" كانت الحوادث قد جمعت لهما أسباب التنافس والخصومة منذ أجيال، وكان هذا التنافس بينهما يرجع إلى كل سبب يوجب النفرة بين رجلين: من العصبية، إلى التارات الموروثة، إلى السياسة، إلى العاطفة الشخصية، إلى اختلاف الخليقة والنشأة والتفكير"([5]).

وأما شخصية يزيد بن معاوية فهي تاريخية وتحمل في طياتها سياسة واعية أخذها عن أبيه، فقد" أصبح خليفة للمسلمين، وانقاد له الناس

---

[1]– د. علي حسين يوسف: الأمام الحسيني في الشعر العراقي، دار الكتب، بغداد، ٢٠١٣م، ص١٩.

[2]– د. على عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية ، ص ١٢١.

[3]– انظر: ديوان المازني: ص١٩٤.

[4]– المازني: أحاديث المازني، مؤسسة هنداوي للطبع، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص٤٣.

[5]– عباس محمود العقاد: أبو الشهداء، الحسين بن على، نهضة مصر، ص١٣.

وظل معترفًا به من غالب الصحابة والتابعين وأهل الأمصار باستثناء اثنين من الصحابة هما: الحسين بن على وعبد الله بن الزبير"([1]).

وبدأ الشاعر أبياته بالمقابلة بين شطري البيت الأول بقوله:(وردة الحسن القديم شوكة القبح الجديد)؛ ليوضح الفرق بين الحسين عليه السلام و يزيد بن معاوية، حيث دلل الشاعر بالمفارقة بين (عدل ظلم)؛ ليبين عدل الحسين رضي الله عنه وكذلك جور يزيد بن معاوية، ثم كان من نتيجة ظلمه أن قتل الحسين رضي الله عنه بدون ذنب أو خطيئة، حيث جاءت كلمة (جند) جمعًا لتدل على كثرة الجنود المشاركين في قتله، وكذلك جاءت نكرة للتهويل من جرم ما فعلوه بحق الحسين رضي الله عنه في هذا اليوم المشئوم.

[1]- د. محمد بن عبد الهادي: القول السديد في سيرة الحسين الشهيد، مبرة الآل والأصحاب، ط١، ٢٠١٠م، ص١٩١.